مَوْقعُ التواصُل الاجتماعيّ "فيسبوك"

يَسْعَى الناسُ اليومَ، أكثر من أيِّ وقتٍ مضى، إلى إيجاد طُرُق للتواصل مع الأصدقاء وأَفْراد العائلة وزملاء العمل، وزملاء الدراسة. ويُعَدُّ فيسبوك أَكْثرَ تلك المواقع استخدامًا من بين شبكات التواصُل الاجتماعي، حيث كان يَرْتادُه أكثر من ٨٠٠ مليون مُستَخدِم نَشِط حَسب إحصائيات عام ٢٠١١ (واليومَ وصلَ عَددُ مُسْتخدميه إلى نحو مليارَيْ مُسْتخدِم)؛ وهو الموقعُ الأكثر استخدامًا على الإطلاق.

أصبحَ مارك زوكربيرغ، مؤسِّسُ موقع الفيسبوك، واحدًا من أَشْهر الرجال في العالم وأَغْناهم، حين قام بإنشاء موقع الفيسبوك ونَشْره على شبكة الإنترنت، ليَلْقى استِحْسانًا من جميع مُسْتخدمي شبكة الإنترنت حولَ العالم، ويصل خلال فترةٍ قصيرة إلى كثير من الناس.

أسَّس مارك الفيسبوك خلال دراسته في جامعة هارفارد في عام ٢٠٠٣، بالتعاون مع زميليه هيوز وموسكوفيتز؛ واقتصر الانتسابُ

للفيسبوك في بدايته على طلاَّب هارفارد، ثم توسَّع ليشملَ باقي الجامعات والكلِّيات في بوسطن، ثم تطوَّر ليستضيفَ جميعَ طلاب الجامعات، وطلاَّب المدارس الذين تزيد أعمارهم على ١٣ عامًا، ثم انتشر بشكلٍ واسع في جميع أنحاء العالم ليشمل جميعَ الأجناس والفئات العمرية (فوق ١٣ عامًا).

والفيسبوك كلمةٌ أعجميَّة، مُكَوَّنة من جُزْأَين: فيس Face وبوك Book؛ وهي تَعْني كِتابَ الوُجُوه، مثلما أراد بها مؤسِّس الموقِع.

ووفقًا لمُعْطَيات هذا الموقِع، فإنَّ ما يزيد على نِصْف عدد المستخدمين النَّشِطين يُسجِّلون الدخولَ إلى حساباتهم يوميًّا. وعلى مدى السنوات القليلة الماضية، تَجاوَزَ استخدامُ الفيسبوك الأفرادَ إلى الشَّركات بهدف الترويج لمنتجاتها وخدماتها؛ وهذا ما أدَّى إلى اهتمامٍ وقلقٍ كبيرَيْن لدى كثيرٍ من الجامعات والمدارس والشَّركات لرَصْد استخدام هذا الموقع والحدّ منه خوفًا من أن يؤثِّرَ ذلك في طاقة العمل والإِنْجاز لدى الطلاب والموظَّفين إذا كانت لديهم إمكانيةٌ للوصول إلى هذا الموقع خلال فترات الدراسة والعمل. ولكن، على الرغم من أنَّ الفيسبوك يمكن أن يكونَ أداةً عظيمة للتواصل مع الأصدقاء والمحافظَة على العلاقات الاجتماعيَّة، هناك قلقٌ من إفراط الشخص في استخدام موقع الفيسبوك أكثر من اللازم، وتكريس كلَّ وقته وطاقته لتتبُّع الأخبار وتعقُّب الصفحات. وقد صدرت مُؤلَّفاتٌ وبحوثٌ حولَ هذه الفكرة

المحدَّدة في محاولة لتَفْسير إِدْمان وسائل التواصل الاجتماعي social media addiction، لاسيَّما الفيسبوك.

لقد أصبحَ استخدامُ الفيسبوك ظاهرةً عالميَّة، مع وجوده بأكثر من ٧٠ لغة على الموقع وبانتماء ما يقرب من ٧٥٪ من جميع المستخدمين إلى بلدان خارج الولايات المتَّحدة،. ويمكن الوصولُ إليه من أيِّ جهاز حاسوب عادي أو لَوْحِيّ ومن العديد من الأجهزة النقَّالة، بحيث يبقى الأفرادُ الذين يستخدمونه على "اتِّصال" دائم في جميع الأوقات وعلى مدار اليوم. ووفقًا لإحدى الدراسات، فإنَّ "٤٨ في المائة من مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي يقومون بالتحقُّق أو بتحديث الفيسبوك أو تويتر بعدَ ذهابهم إلى الفراش، و ٥٦ في المائة يشعرون بأنَّهم مَدْفوعون إلى فتح الفيسبوك مرَّةً واحدة على الأقلّ يوميًا". وتعتمد الأبحاثُ حولَ إدمان الفيسبوك على المقالات المتعلِّقة بالاستعمال الاعتيادي للفيسبوك، لأنَّها قد توفِّر فِكرةً عن الشَّكْل النموذجي لهذا الاستخدام؛ فالإطارُ الطبيعي لاستخدام الفيسبوك يمكن أن يساعدَ على المقارَنَة والموازنة بين المستخدِم العادي والمستخدِم الذي يعدُّ "مُدْمِنًا".

أُجْرِيَت دراسةٌ للمقارنة بين المخزون أو التوجُّه الاجتماعي واستخدام طلبة الجامعات لمواقع التواصل الاجتماعي، فأوضحت أنَّ هناك علاقةً بين الفيسبوك والمحافظة على المخزون الاجتماعي. ولذلك، من المهمِّ

مـــن الناحية النفسية أن نفهمَ بأنَّ هناك ارتباطًا بين مَـــنْ يرغبون بأن يَشْعروا بأنَّهم على تواصلٍ اجتماعي وبين اســـتِخْدام صفحات الفيسبوك الخاصَّة بهم.

تُشِير إِحْدى المقالات إلى أنَّ "الفيسبوك يمكِّن مُسْتَخدميه من تَقْديم أنفسهم من خلال حِسابهم على الإِنْترنت، وإضافة الأصدقاء الذين يمكن أن يَضَعوا تَعْليقاتٍ على صفحات بعضهم بعضًا، ويشاهدوها.

قد يَبْدو الفيسبوك، للوَهْلة الأولى، بمنزلةِ بوَّابةٍ مفيدة لربط الأفراد، ولتســـهيل بقاء الناس علـــى تَواصُل مع أولئك الذين لا يَسْتطيعون التواصلَ معهم في العالم المادِّي أو الحقيقي. ولكن، بما أنَّ الإدمانَ هو مَصْدرُ قلقٍ بالغ لعُلَماء النفس جميعهم، فمـــن المهمِّ أن نفهمَ كيف يمكن للمَرْء أن يكونَ "مهتمًّا" بالفيسبوك، وليس مصابًا بالإدمان؟!.

يَلْجأ الكثيرُ من مُسْتَخدِمي الفيسبوك إلى الاستفادة منها في تطوير مهاراتهم ومعرفتهم، كما هو الأمرُ في المجموعاتِ الشعريَّة والأدبيَّة، حيث يَسْتثمِر الأعضاءُ في هذه المَجْموعات وجودَهم مع أشخاص آخرين عارفين بالأدب والشِّعر في تَنْمية معلوماتهم وتداولها والتحقُّق منها وطَرْح الآراء وتجاذُب أَطْراف الحديث؛ وينطبق مثلُ ذلك على المجموعات الأخرى الثقافية والعلميَّة والهندسيَّة والدينيَّة ... إلخ.

وقد دأبت بعضُ صفحاتُ الفيسبوك على فتح منصَّاتٍ للاستشارات الطبِّية وتَداوُل التشخيص المرضي، والهندسيَّة والثقافيَّة والعلميَّة، ممَّا

كـــان له الأثرُ المفيد البالِغ فـــي إِغْناء المعرفة ورفَـــدْ الوَعْي بكلِّ جديدٍ ونافـــع.

مُلاحَظاتٌ شَخْصية على الفيسبوك

– المَنْشورات الاجتماعيَّة تلقى تفاعلاً أَكْبر من غيرها، مثل الزواج والولادة والنجاح ... إلخ. وهناك شيءٌ مُلْفِت للنظر في التفاعل مع هذه المنشورات؛ فقد نجد فيها قَدْرًا كبيرًا من الإِطْراء، وربَّما يصل ذلك إلى مستوى النِّفاق الذي لا مبرِّر له. وهذا الإطراءُ قد ينسحب أيضًا على منشوراتٍ أخرى، مثل فَرْطِ المديح للقصائد الشعريَّة دون وَجْه حقٍ؛ وربَّما يَخْلق هذا المستوى من المديح الكاذِب أو الزائِف حالةً مـــن التَّعالي والانبهار بالنَّفْس لدى صاحِب المنشـــور أو المقالة أو القَصيدة.

كما أنَّ مَوْضوعَ التَّحزُّب أو ما يُدْعَى الشِّلَليِّة واضحٌ جدًّا؛ حيث نلاحِظ أنَّ هناك تجمُّعاتٍ يَتَبادَلُ أَفْرادُها المديحَ والثَّناء بحقٍّ وبغير حقٍّ؛ ويكافئون التَّقْريظ بالتَّقْريظ، بصرف النظر عن جودَة المنشور وصحَّته. ولذلك، في كثيرٍ من الأحيان لا تُعْطي صفحةُ الفيسبوك الشخصيَّة صورةً حقيقيَّة عن طبيعةِ الشَّخْص؛ مع أنَّ تَتَبُّعَ هذا الشخص في تَعْليقاته وتفاعله على صفحته وعلى الصفحات المشترِك فيها ربَّما تُبْرِزَ جوانبَ أخرى من هذه الشَّخْصيَّة، وتُجَلِّي أكثرَ فأَكْثر حقيقةَ طِباعِه

وأفكاره ومُيُوله، من دون أن يَقصدَ المتتبِّعُ فَضحَ العُيُوب وكَشْـــفَ العَوْرات لغَيْر غاية أو هَدَف نَبيل أو مبرَّر. وممَّا يساعد على متابعةِ تفاعِل أيِّ صاحِب الحساب وجودُ شريطٍ جانبي يُوفِّره موقِعُ الفيسبوك على الأجهزة الثابتة يُشير إلى نشاطِ الأَعْضاء (من الأصدقاء) وتفاعُلهم لحظةٍ بلحظة.

- نشر الصُّوَر الشخصية يلقى تفاعلاً أَكْبَر من غيره.

- المواضيع الجادَّة والطويلة لا تَلْقى تفاعلاً كبيرًا.

- المَنْشورات المباشرة تَلْقى تفاعلاً أكبر بكَثير من مشاركة المنشورات نفسها، حتَّى وإن كان المنشورُ المشارَك هو المنشور الأصلي نَفْسه.

يقوم بعضُ أَصْحاب الحسابات على الفيسبوك بطلب صَداقة، ليس بغاية متابعةِ صفحة من طلبوا صداقتَه أو بدعوى الإعجاب به، بل بهدف زيادة عدد الجُمْهور أو الأشخاص أو الأصدقاء لديهم؛ ومنهم من يطلب ذلك بهدف كَسْب مزيدٍ من التعليقات والتفاعل مع ما ينشرون، وقد لاحظتُ ذلك بشكلٍ خاص لدى بَعْض الشعراء من الجنسين، حيث لا يتفاعل أبدًا مع من طلب صداقتَه أو إضافته، بل يظنُّ أنَّ على الطرف الآخر أن يقومَ بهذا الشَّيء. ولذلك، تَلْقى منشورًا عليه نحو مائة إِعْجاب مع أنَّ صاحبَ الحِساب لديه آلاف الأَصْدِقاء الذين طَلبوا صَداقَتَه بأَنْفسهم.

– يقوم الفيسبوك بين الفَتْرة والأخرى بطرح اختبارات واستبيانات، تتناول مختلفَ نواحي الحياة والأُمور الشخصيَّة، مثل مَنْ الرَّئيس أو الشخصيَّة المشهورة التي تُشْبهها وما مُسْتواك في اللغة العربيَّة ومن أَقْرب الأَصْدقاء إليك ومَا هي المهنَّةُ أو المنزلة التي تَسْتحقُّها وكم يَبْدو عمرُك من خلال صورتك الشخصيَّة ... إلخ؛ ورغم أنَّها قد تَبْدو استبياناتٍ بريئةً، لكن ربَّما تُخْفِي وراءَها أهدافًا أخرى، كما قد يكون البحثُ الاجتماعي أحدَ أَهْدافها.

– وربَّما من الضروريِّ إخفاءُ أو إلغاء خاصيَّة "آخر ظهور" التي يعرف من خلالها أصدقاءُ الحساب آخرَ مرَّة كان فيها الشخصُ نَشِطًا على الحساب الشخصي أو مُتَّصِلاً، حِفاظًا على خصوصيَّة المستخدِمين ودَفْعًا لما يَسْتَتْبِع ذلك من إِشْكالات.